

كتاب الخراج

لأبي يوسف

مأمون الصاغري

يحتلُّ كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (١١٣ - ١٨٢ هـ) صاحب أبي حنيفة مكانةً فريدة في هذا الباب من أبواب الفقه ، فهو من أوائل الكتب التي ألّفت في هذا الفن ، وقد اضطلع بتأليفه عالم كبير بلغ الغاية في علمه .

طبع الكتاب لأول مرة (بتصحيح محمد الحسيني) بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠٢ هـ (صفحات المتن : ١٣٤ + فهرس كتاب الخراج ، ص ١٣٦) ، وبهامشه الكتاب المسمى بالجامع الصغير في الفقه للإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة .

وتحدث الأستاذ يوسف اليان سركيس عن هذه الطبعة ، وذكر أن السيد (الموسيو) فانيان قد ترجمه إلى الفرنسية وطبع في باريس ١٩٢١ (معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ : ٤٨٩) .

ثم طبع الكتاب ثانية بالمطبعة السلفية (القاهرة ١٣٤٦ هـ) محققاً على نسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية رقم ٩٧٤ فقه ، ومعارضاً بطبعة بولاق المذكورة آنفاً (صفحات المتن : ٢٥٧ + الفهارس : ٢٥٨ - ٣٠٤) ، وقدّر لهذه الطبعة السلفية الجودة الذبوع والرواج ، فأعيد طبعها غيرما مرة ، وقد أصدر طبعها الخامسة (القاهرة ١٣٩٦ هـ) قصي محب الدين

الخطيب (صفحات المتن : ٢٣٥ + الفهارس : ٢٣٦ - ٢٦٠) . ويذكر الدكتور إحسان عباس أن لها طبعة سادسة ظهرت في سنة ١٣٩٧ هـ (كتاب الخراج - بيروت ١٩٨٥ م ص ٧) . أما الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن فقد عدّد لكتاب الخراج ثلاث طبعات : طبعة بولاق وطبعتي السلفية الأولى والثالثة (التراث العربي الإسلامي ١ : ٣١٩) .

ثم صدرت عن دار المعرفة ببيروت موسوعة الخراج (بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) وتتضمن تصويراً لكتب ثلاثة في الخراج : كتاب الخراج لأبي يوسف ، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي ، والاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي .

وقد توجت هذه الطبعات كلها طبعةً الخراج لأبي يوسف التي أصدرها بنك الكويت الصناعي بتحقيق الأستاذ الكبير الدكتور إحسان عباس (بيروت ١٩٨٥ م) ، وتقع في نحو ٥٠٠ صفحة (مقدمة : ص ٥ - ٦٦ + المتن : ٦٧ - ٤١٦ + مستدركات : ٤١٧ - ٤٢٥ + فهارس : ٤٢٧ - ٤٩٩) .

اعتمد الدكتور إحسان عباس في تحقيقه مخطوطةً نسخة المتحف البريطاني ، واستعان بطبعتي الكتاب البولاقية والسلفية ، وضمّ إليها الإفادة من كتاب (فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج) لعبد العزيز الرحبي الحنفي . ورأى في المصادر الفقهية والحديثية معيناً لا ينضب ، استمدّ منه في تصحيح النص وتخريج الأحاديث وضبط أسماء المحدثين . وقدم الدكتور عباس للكتاب بمقدمة جيدة تحدث فيها عن الإمام أبي يوسف وعن كتاب الخراج حديثاً فيه الابتكار والجدة .

ويبدو أن الأستاذ لم يبلغ كل ما كان يطمح إليه في تحقيق كتاب الخراج ، ويتجلى ذلك في الثبوت الذي سرد فيه (ص ١١ - ١٢) نسخ كتاب الخراج المخطوطة التي اطلع عليها في مكتبات استانبول فبلغت خمس عشرة نسخة ، كان يتلفه للحصول على اثنتين أو ثلاث أو أربع من نسخها الجيدة ليستوفي في تحقيق الكتاب غايته المثلى ، فلم يكتف به من ذلك .

وكانت طبعة السلفية قد أفردت فهرساً خاصاً بشيوخ المؤلف أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ، وإنه لأمر هام أن يطلع القارئ أو الدارس على شيوخ المؤلف الذين روى عنهم واستمد منهم في كتابه . وكنا نتمنى ألا يخلي الدكتور إحسان عباس كتابه من مثل هذا الفهرس أو ما يحل محله ، كأن يصطنع إشارة خاصة بشيوخ المؤلف في فهرس الأعلام تدل الباحث المتتبع الذي يريد استخراج شيوخ المؤلف وتتبّع رواياته عنهم .

لقد قدمت الطبعة الجديدة كتاب الخراج في حلة قشيبة : وطأت النصوص للدارس ، وذلت له كثيراً من الصعاب ، وقسمت الكتاب إلى فقر تحمل أرقاماً متسلسلة (بلغ عددها ٣٩٣ فقرة) . أما استشادات أبي يوسف فكان لها أرقام مستقلة .

لانملك إلا أن نقدر هذا الجهد الكبير الذي قام به الدكتور إحسان عباس ، يضمه إلى جليل أعماله التي تتصف بالدقة والغزارة والتنوع ، وتنبئ عما يتحلى به صاحبها من عمق الفكر وواسع المعرفة .